الباب الثالث

وجود البرتغاليين والفلمنكيين في الهند ونزول الفرس بها والمعاملات التجارية والسياسية الروسية مع آسيا الشرقية

الفصل الأول

وجود البرتغاليين في الهند وفي آسيا الشرقية

ولو اني ذكرت في مبادي الجزء الخامس من هذا التاريخ ما اجراه البرتقاليون من المشروعات والاستكشافات البحرية حتى توصلوا الى الاراضي الهندية الا انه يلزمني ان اذكر هنا ما فيه الكفاية من اعمال هذه الامة حتى يستوفي مطالع كتابنا هذا من اخبارها ما يشفي الغليل ويكون على خبرة تامة بما وقع منها من الاعمال في المدة القديمة فاقول وعلى الله المعول ان البرتقال مملكة صغيرة قليلة الخصوبة يعني العقيمة والثروة كائنة في احد اطراف اوروبا وما كان لا اصلاحية في عمل من الاعمال الكبيرة المهمة طول هذه القارة فمن ثم كان تاريخها مظلم معتم كئيب تحت احكام الحكومة الرومانية كان اللوسيطانيون مشهورون فقط بشدة ما كان عليه من البربرة والهمجية وفي مدة القرون المتوسطة انظمنوا واندرسوا تحت نافق للمسلمين وذلك من بعد ما تغلب المسلمون على كامل بحيث جزيرة اسبانيا تقريبا قام في القسم الغربي منها مملكة عرفت حكومة الا... وفي القرون الاخيرة حلت بهم المظالم وثارت فيهم الثورات فدخلوا في محاربات مع الامم الاخرى المشهورة وصارت مملكة في اخر الممالك الاخرى الاوروباوية ثم بعد ذلك اخذت هذه المملكة في درجة الارتقاء حتى وصلت الى الموقع والمحل الموافق لا ليس في القوة والسلاح فقط بل وفي كافة الفنون والاعمال الجليلة التي سلكت فيها وكانت هي السبب الاصلي في ظهور الدنيا الجديدة (امريكا) ولبث البرتقاليون مثل جيرانهم الاسبانيون في محاربات مكثت سنين عديدة الى ان طردوا من ارض مسقط رأسهم الامة الحربية الكبيرة الاسلامية التي كانت تغلبت على بلادهم واذلوهم وكانت العقايد الدينية التي كان البرتقاليون متمسكون بها في الاصل هي السبب الاصلي في هياج العزة والحمية فيهم حتى قاموا واجتمعوا في جامعة واحدة وخلصوا بلادهم من اعدائهم وقال احد الكتاب ان مملكة البرتقال سميت على دماء الشهداء من اهلها وحدث شوكتها على الكرة بدماء الشهداء لان اسم البرتقال اسم دال على الذين حاربوا اعداء دينهم وماتوا شهداء في حب اوطانهم وقيل ان هذه المملكة صارت في هيئة مملكة مستقلة وظهرت في حالة الوجود في مدة سلطنة الدون الفونسو المعروف عند المسلمين بالاذفنش ملك قسطيلة وليون وكان هذا الملك زوج ابنته الدونه تيريزه لواحد من شجعان الاعراب اشتهر اسمه وذاع ذكره وصيته وارتقى الى درجة عالية رفيعة بما حازه من درجة الاستحقاق وجعل الدون الفونسو صداق ابنته الاقليم الكائن في حدود مملكته وكان اغتصبه من عهد حديث من المسلمين في اسبانيا وفتحه وتغلب عليه واطلق عليه اسم فورتغال او اباراتو ومن بعد ذلك مضت مدة مقدارها نحو من مائتين سنة ما وقع فيها في تاريخ البرتقال حادثة او واقعة مهمة وفي سنة ١٣٨٩ بعد الميلاد قام بينها وبين قسطيلة اختلافات فما حصل توافق من بعدها بين الاثنين مطلقا وفي مدة سلطنة يوحنا الاول وكان تزوج برنسيسة او اميرة انكليزية وهي فيليبة ابنة يوحنا دوق لنكستر اغار على البرتقال جيش من قسطيلة مؤلف من ٣٠٠٠٠ مقاتل فانهزم واخذ البرتقاليون بثارهم من الاسبانيين فكانت النتيجة عقد معاملات صلحية امتدت الى ما شاء الله وكان توفيق هذا الحرب سببا في ان ملك البرتقال يوحنا الاول انتهز الفرصة بما كان عنده من الطاقة في مشروع غارته على مسلمي بلاد البربر والغرب في سنة ١٤١٤ بعد الميلاد وباشر الحرب بنفسه وحصل له الظفر والنصر وتغلب على مدينة سبتة

حرب البرتقال مع البربر

سبتة فاذيع على قلبه اهمية موقعها ولو ان مجلس دولته حثه على تركها فانه جزم على المحافظة عليها ووسعها وحصنها واحكم موقعها احكاما قويا وشحنها بحامية مؤلفة من ستة الاف من المشاة والفرسان من الخيل وراعى ان هذه القوة فيها الكفاية الكافية لصد كل هجوم يقع عليها من مسلمي البربر وفي السنة التالية سعى البرتقاليون واجتهدوا في التغلب على طنجة من اعمال الغرب الاقصى فخاب سعيهم وحصر المسلمون البرتقاليين واخذوا ابن الملك الدون فرديناند رهينة عندهم الى ان يستخلوا من البرتقاليين مدينة سبتة فرفض الملك ومجلس البرتقال وفاء هذا الشرط في تسليم المدينة واسر البرنس ابن الملك عرضة لغضب المسلمين واستمر الحرب في بلاد البربر مدة طويلة من الزمن كان البرتقاليون فيه قليلي النجاح والظفر وكان يوحنا الاول اعد عمارة صغيرة وجهها لقارة البربر من اجل كشف ساحل مراكش وخط ساحل قارة افريقية فنجح ملاحو البرتقال في اسفارهم في طول الساحل حتى وصلوا الى رأس نون فكان هو النقطة النهائية المعروفة عند الاوروباويين في ذاك الوقت وكشفوا مسافة عظيمة من الساحل الغربي لافريقية والت الحالة معهم اخيرا كونهم تغوروا على الاسفار في طول الساحل حتى منعتهم الجروف العالية المهولة الكائنة حول رأس بجادور والامواج الكبيرة المهولة المقذوفة عليها الدائمة تتولد من هذه السفرة احيانا نفس وشجاعة قلب وتقوية جسم في عمل استكشافات اخرى بعيدة في المستقبل باشرها واحد من العائلة الملوكية فكانت سببا في نشر صيته واذاعة شهرة اسمه وعكف بنفسه وبذل جهده في امر مشروعات الاستكشافات البحرية ونال بذلك الفخر وجزيل الثناء والمجد وهو البرنس هنري الابن الاصغر للملك يوحنا من فيليبة الانكليزية اخت هنري الرابع ملك انكلتره فان هذا البرنس من بعد ان حاز الشهرة ودرجة الامتياز في غزو البربر وجه كافة التفاتاته لهذا المطلب الجديد واتخذ لنفسه مقاما في مدينة ساغريش بالقرب من راس سنت فنسن ولبث في هذا المقام مرجعا بصره وعيناه الى الاوقيانوس الغربي وهو البحر الاطلانطيق وجمع كل ما وجد فيه المصلحة والمساعدة من الاخبار والحوادث والاجراءات التي يمكن بواسطتها تقدم العلوم الجغرافية وفن الملاحة وكانا في حالة المهد في ذاك العصر واعد جملة سفريات متتالية ورأى بعضها من اجل المداومة على اجرا الاستكشافات البحرية فتولد مما كان عنده من اعزازه بهذا المشروع الذي سعى فيه بالاسعاد الحلقة التي اجراها رونق وحنيا احاط بما لاقاه وكابده من الاخطار والاهوال فكانت اول سفرة اعدها هنري في سنة ١٤١٨ بعد الميلاد سفينة واحدة تحت رياسة اثنان من الضباط من حاشية بيته وهما جنا غونسالفيس وطريستام واذ حطرتهما العواصف واللواقح في داخل البحر فكشف في ابتداء الامر جزيرة بورتو سانتو ثم من بعدها ماديره ولما ظهر ان هاتان الجزيرتان ذواتا محصولات وافرة ذات قيمة كبيرة صار مزاعاتهما انهما مبادي السعادة وعلو الرفعة في الاستكشافات ولما سنة ١٤٣٣ اي من بعد مضي خمس وعشرين سنة سافر غليانيز سير مخاطرة في اباح البحر ومر من امام رأس بجادور وابثت ان الخوف والجزع المتسلطين في قلوب الملاحين من هذا الراس المشهور هو وهمي فقط ولا صحة له وفي هذا الوقت كان نجاح البرتقاليين في معرفتهم خط ساحل افريقية اخذ في التقدم وما حصل مكافئة اتعابهم في هذه المدة بشي سوى نظرهم ساحل قحل جرب لا يوجد فيه الا رمال محرقة خالية من النباتات والاشجار وصنف الانسان والحيوان وهو عبارة عن قفار وجرد ثم وصلوا من بعدها الى السواحل المخضرة النضرة لنهر سنغال وغمبيا وكان يجلب من طريق هذين النهرين من الاراضي الداخلية وبلادها اصناف الذهب والعاج والتحايف والبضايع الغالية الثمينة ثم حصل بعض تعطيلات في تقدم الاستكشافات البحرية لتولد من الملك يوحنا في سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد ثم انها اخذت في العمل الى سنة ١٤٦٣ واخذت في زيادة التقدم باشغال البرنس هنري ثم ان الملك الفونسو خليفة الملك يوحنا منح على فرديناند غوميز امتيازا ومخصوصا به لمدة خمس سنوات على شرط ان يكشف في ظرف هذه المدة خمسماية فرسخ من ساحل الافريقي ومن ثم نجح غوميز في كونه كشف في سنة ١٤٧١ بعد الميلاد ساحل الذهب وكان اسمه على مسمى بسبب ما تيسر منه من حصول ثروات كبيرة وشرع الملك بلقب سيد غينيا وشيد قلعة سماها قلعة المينة على هذا الساحل وجمع عاصمة كافة الاملاك البرتقالية في هذا الساحل وفتح معاملات تجارية مع الاهالي والسكان فكانت التجارة مقصورة في الذهب وسن الفيل او العاج وكان يدخل منها ايراد كبير في خزينة الملك وفي ظرف مدة قليلة من الزمن صارت هذه القلعة وكانت تقرب بقلعة

وصول ملاحي البرتقال الى رأس نون

البرنس هنري ابن الاستكشافات البحرية

سفرة غليانيز

سفرة غوميز

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)